من افتراءات المستشرقين على الإسلام :

التحامل الإستشراقي على شخص صاحب الرسالة !

أ.د عبد المنعم فؤاد (*)

لم يكتف المستشرقون المتعصبون بما سبق ذكره من افتراءات حول ثبوت الرسالة الإسلامية، وكذلك الوحي، والكتاب العزيز، والمعجزة في الإسلام، بل طَفِقوا بالتحامل والتطاول، وإيراد الشبهات على شخص صاحب الرسالة ﷺ : النبي الأكرم، والرسول الأعظم، صاحب الخلق الكريم، والقلب الرحيم، والمبعوث من الحق -جل وعلا- رحمةً للعالمين، على اعتبار أن كل شبهة تتعلق بشخص الرسول ﷺ هي شبهة على رسالته التي حملها، ودينه الذي جاء به للكون كله، كما أن إثارة هذه الشبهات جزء من مخطط كبير عندهم يهدف إلى: عزل الإسلام ورسوله -صلوات ربي وسلامه عليه- عن حياة المسلمين بخاصة، والناس بعامة؛ ليحل بدلًا عن ذلك دين الغرب وإباحيته، وشخصياته ذات الشهرة بينهم.

وبإيجاز: سنذكُر في هذا المقال -الذي بين أيدنا- بعضًا من هذه الشبهات والافتراءات التي أثارها هؤلاء، وتجرءوا بها بدون وعي: على شخص هذا النبي الكريم ﷺ ونتتبعها بالنقد والرد العلمي المتزن ليكون أبناء أمتنا على علم بما يمكره الآخرون، ويأخذوا حذرهم، بل ويبصروا الناس بحقائق الأمور.

وهاك أبرز ما أثاره هؤلاء الغلاة من المفترين في اسم النبي ﷺ الذي يردده المسلمون في كل زمان ومكان، وفي أميته ﷺ التي نطق بها القرآن العظيم، ثم في زهده في متاع الدنيا كما قصَّت كل كتب السِّيَر عند المسلمين.

ونبدأ بأول ما أثاروا:

١- التشكيك في اسمه ﷺ، والرد على ذلك:

حيث زعم عدد من المستشرقين الغلاة أن نبينا محمدا ﷺ لم يكن اسمه (محمدا) بل كانت له أسماء أخرى، ومن هؤلاء:

(*) عميد كلية الوافدين جامعة الأزهر.



أ - المستشرق (دور منغم) القائل:

«إننا نذكر أن الاسم الأصلي للنبي هو: (قثم)، ثم تم إجراءُ تعديل على هذا الاسم بعد ولادته بوقت قصير، أو حين بَعثته إلى اسم: (محمد) الذي هو لقب نبوي ليس أكثر»(١)

ب- وأيضًا المستشرق (هوار) في كتابه: تاريخ العرب:

إذ نراه يُسلّم بهذه الفِرية، ويزعم أن النبي (محمدًا لم يُدع محمدًا قط، وأن حقيقة اسمه ستظلُ لُغزًا من الألغاز التي لا حلَّ لها) والحجة عنده:

«أن كلمة محمدًا نعت ذو معنى خاص؛ لذلك فهو بالتأكيد لقب ليس إلا»(٢)! هكذا انتهى.

ج- ويقول (بودلي)(٣)، في ترجمته لاسم محمد، والمحمدية - :

أصبحت لفظة محمد (Namme) تُستعمل بمعنى أصنام، واشتقت كلمة (Mahomerie)، ثم كلمة (Mumery) بمعنى مجنون بنفس المصدر، وعلى عبادة الأوثان (المحمدية Mametry).

د- ويقول (جون سلدن) معقبًا:

فصارت كلمة محمد، والمحمدية أسماء بغيضة في حين أن التُركَ -يقصد المسلمين الأتراك وكل المسلمين في العالم- يحرمون الأوثان في دياناتهم(٤).

الرد:

وهكذا وصلت كراهية هؤلاء المستشرقين، وبغضهم لرسول الله ﷺ إلى أبعد مدى، لدرجة أنهم يريدون تجريده من اسمه الكريم زاعمين أنه اسم بغيض، أو اسم صنم، أو مجنون، أو قثم إلخ.

وإن كان المسلمون يُطلقون عليه اسمَ محمد فهو مجرد لقب نبوي فقط، ومحمد ليس هو محمد.

وهذا تخبط واضح في اسم الرسول ﷺ بدون سند ولا برهان، لم يفعله من قبل كبار رجال الكفر في مكة -أهل محمد ﷺ وعشيرته- وأهل مكة أدرى بشعابها، وسكانها وأسماء رجالها، وليس القاطنون في أوروبا وغيرها، بل لم يقل به أبوجهل نفسه أكبر أعداء النبي الأكرم في زمانه، ولم يجرؤ على التفوه بذلك!

ولا أدري على أي كتاب اعتمد هؤلاء المتخبطون، أو من أي مصدر نقلوا إلينا حقيقة ما يذكرون!

فكل كتب التاريخ في أركان الأرض الأربعة، وفي مكتبات الدنيا، لم تسطر يومًا أن محمدًا الكريم ﷺ الذي جاء ليُطهرَ الأرضَ من الأصنام، ويبعد الخلائق عن الفسق والخلاعة والمجون قد سمى نفسه، أو سماه

---

(١) نقلًا عن كتاب: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص ١٠٥.
(٢) نقلًا عن كتاب أوروبا والإسلام ص ١٠٣.
(٣) علامات محمد ما هي وما قيمتها، ص ١٧١، نقلا عن كتاب الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص ١٦٥.
(٤) المصدر السابق ص ١٦٥، ١٦٦ .

أصحابه بصنم، أو مجنون، أو قثم، كما يزعم المفترون.

بل هو محمدٌ رسولُ الله ﷺ عرفه أصحابهُ بذلك، وعرفته الدنيا بذلك، وعرفه أوثق كتاب وأصحه في كل كتب الدنيا بذلك وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:

فقال سبحانه وتعالى:

أ- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ (الفتح: ٢٩).

ب- وقال - جل ذكره -:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

ج- وقال تبارك اسمه:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

وجاءت سورة في القرآن الكريم سُميت بسورة محمد.

د- وذكره عيسى الوجيه -عليه السلام- بأنه أحمد:

﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ (الصف: ٦)

أي كثير الحمد، أو أحمد الخلق إلى الله -عز وجل-.

هـ- وذكر في الكتاب المقدس - عند النصارى- بأنه (الفارقليط) أي الحمّاد، أو الحامد، أو المعز كما جاء في إنجيل يوحنا(٥)، ومعناه كثير الحمد، وهو يلتقي مع معنى محمد، وأحمد.

و- كذلك جاء اسم محمد ﷺ في التوراة على أنه النبي الرسول كما ذكر ذلك كعب الأحبار، وأكده ابن القيّم وحققه قائلاً:

«إن تسميته بمحمد سبقت تسميته بأحمد؛ لأنه سُمّي محمدًا في التوراة وسُمي بأحمد في الإنجيل»(٦).

ز- كما أخبر ﷺ بنفسه عن أسمائه حيث قال ﷺ:

«إن لي أسماء أنا: محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»(٧).

وكثرة الأسماء تدل على شرف المُسمى من غير شك.

وقد ردد علماء الأمة عندنا هذه الأسماء، وعلقوا عليها بأقوالهم: «والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء أُختص بها، ولم يُسم بها أحد قبلي، أو خمسة أسماء مُعظمة، أو مشهورة في الأمم الماضية لا أنه أراد الحصر فيها».

(٥) إنجيل يوحنا إصحاح ٦/١٤ - ٣٦.

(٦) انظر جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ج١ ص ١٤٠٥ دار الكتب العلمية بيروت، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ١١٥ - ١٢١، مكتبة السوادي - جدة.

(٧) أخرجه البخاري، ج٦ ص ٦٤١ حديث رقم ٣٥٣٢ باب أسماء النبي ﷺ، ومسلم، ج٤ ص١٨٢٨ رقم ٢٣٤٥ باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، والدارمي في سننه، ج٢ ص ٤٠٩ رقم ٢٧٧٥.



وقال القاضي عياض:

«حمى الله هذه الأسماء أن يُسمى بها أحد قبله، وإنما تسمي بعضُ العرب محمدًا قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأحبار، أن نبيًا سيُبعثُ في ذلك الزمان يُسمى محمدًا، فرجوا أن يكونوا هم، فسموا أبناءهم بذلك»(٨).

وبهذا يتبين أمامنا أن اسم محمد ﷺ لم يكن من الأسماء البغيضة عند العرب، أو عند المسلمين كما يقول المستشرق اللامنصف (جون سلدن)، بل هو من الأسماء المرجوة، والمحبوبة عند الناس قديمًا، وحديثًا.

وإن هذا الاسم هو الذي عُرف به النبي ﷺ منذ ولادته، وعرفته به الأديان السابقة، والقرآن الكريم، ومعناه واضح وبين، وليس لُغزًا من الألغاز كما يدَّعِي المستشرق (هوار)، وغيره، فهو دال على معناه الذي هو الحمد والثناء على خالق الأرض والسماء، وإجلاله، وتعظيمه -جل في علاه-، ولم يدل على صنم، أو فاحشة كما يزعم هؤلاء الجاهلون.

وكذلك اسم أحمد فهو أفعل تفضيل يدل على أن حمده ﷺ لربه أفضل من حمد الحامدين غيره فهو أحمد الحامدين(٩).

ثم إننا نُذكّر المستشرقين الحاقدين بأنكم مهما شككتم في اسم محمد ﷺ فإن المسلمين له من العاشقين؛ لأنهم يرون أن هذا الاسم بالذات له قبول خاص، وذوق رفيع في دنيا الأسماء، فإطلاقه يتناسب مع كل أطوار سن الإنسان.

فنرى الطفل الصغير يتسمى به، وهو عليه لائق، وجميل، والشاب اليافع يقبله ويرتضيه؛ لأنه يرى لحروفه جرس خاص ورنين.

والشيخ الكبير لا يرفضه؛ لأنه يضيف لشيخوخته مهابة ووقارًا.

إذن فهو مناسب للشخص كما قلت في كل أطوار حياته.

بينما هناك أسماء قد تكون مقبولة في طور الطفولة عند الإنسان لكنه قد يستحي من إطلاقها عليه في طوره الثاني، أو الأخير.

فاسم محمد يُطلق على الطفل، والشاب، والحاج، ولا غبار عليه في أي طور من الأطوار، لأنه اسم اختاره الله لنبيه ﷺ ونحن له من المحبين، وإن كره المستشرقون.

(يتبع)

***

(٨) فتح الباري، ج٦ ص ٦٤٤.

(٩) انظر فتح الباري، ج٦ ص٦٤١